خطبة صلاة الجمعة 28/ 7/ 2017 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(مهنة الوظيفة العامة –4–)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: 105].

وقال سبحانه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ [الأنبياء:94].

أخرج البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَاماً قَطُّ خَيْراً مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**».

وأخرج البخاري ومسلم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَن يُرِد الله به خيراً يفقِّهه في الدِّين**».

هذه هي الخطبة الثامنة عشرة في سلسلة (مهنتي: فقهها وآدابها)، ونتابع اليوم الحديث عن مهنة الوظيفة العامة، ولئن تحدثت الخطب الماضية عن مسائل فقهية في هذه المهنة، فإن خطبة اليوم تتحدث عن **آداب مهنة الوظيفة العامة**.

أيها الإخوة:

الخلق الرفيع والأدب الجم عندنا نحن المسلمين دين، وتعلمون أن الإسلام ثلاثة أمور: عقيدة وشريعة وأخلاق، فالأخلاق والآداب ثلث الدين إن صح التعبير.

ولعلكم تعلمون أنه ما من كتاب من كتب الحديث الجوامع إلا حوى كتابا كبيرا عن الأدب حوى مئات الأحاديث ومئاتها، اقرأ عليكم من جامع الترمذي مثلا:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقاً**».

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً**».

وسُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يُدْخِلُ الناس الجنة، قال: «**تقوى الله، وحسن الخُلقُ**».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم «وقفَ على ناسٍ جُلُوس، فقال: **أَلا أُخبركم بخيركم مِنْ شَرِّكم؟** قال: فسكتوا، فقال ذلك ثلاث مرات، فقال رجل: بلَى، يا رسول الله، أخبرنا بخيرِنا من شرِّنا، فقال: **خيرُكم مَنْ يُرجَى خيرُه، ويُؤمَنُ شَرُّه، وشرُّكم من لا يُرْجَى خيرُه، ولا يُؤمَنُ شَرُّه**». وهكذا فالنصوص الشرعية كثيرة كثيرة في الخلق الحسن والأدب الرفيع. ولا ريب أن للخلق أثراً كبيرا في أعمال الناس ومهنهم إجمالاً، وفي مهنة الوظيفة العامة على الخصوص.

– نظر القضاء في بلد عربي بقضية تزوير وتلاعب قام بها موظفو مركز فحص الإيدز، تم خلالها تزوير تحاليل حوالي مائتي شخص بالتَّعاون مع مكتب سياحي، كان يعمل على تأمين رحلات سفر سياحية لهؤلاء المرضى.

– ألقى رجال الشُّرطة القبض على موظف مسؤول عن قمع السَّرقات في شركة كهرباء عامَّة في بلد عربي، وهو متَّهم بقيامه بعدد كبير من عمليات سرقة الكهرباء.

– ذكرت جريدة عربية أن 69 % من موظفي الدوائر الحكومية متسيّبون في عملهم ، وأن 54 % منهم يخرجون أثناء الدوام الرسمي لقضاء مصالح شخصية، وأن 60 % يخرجون قبل نهاية الدوام.

– ذكرت شركة دراسات غربية أن 45 % من الموظفين يأخذون معدات مكتبية تتبع الشركة كالأقلام والكتب معهم ، وأن 65 % من الموظفين يستخدمون الحاسب الآلي لأغراضهم الشخصية.

– صرح رئيس جمعية أطباء ضد التَّعذيب أن الأطباء الذين شاركوا في برامج وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية انتهكوا القوانين والأنظمة المرعية للمهنة، وجلبوا العار لمهنة الطِّب، وذلك أنَّهم شاركوا بأنفسهم في تعذيب السُّجناء العرب والمسلمين.

– مدير بنك وأحد موظفيه يختلسان من البنك ما يقارب المليون والنِّصف دولار خلال عام...

قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [الأعلى:14]، (قد): أداة تحقيق، يعني: تأكد أنَّ الذي يزكي نفسه بالأخلاق الفاضلة سينجح ويفوز، وفي آية أخرى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا*﴾ [الشمس: 9-10].

الفِعل في الآية الأولى لازمٌ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (تزكَّى)، أي: تزكَّى بنفسه، حسَّنَ أخلاقه، تأدب بآداب عالية، امتثل أوامر الله تعالى بطاعته...

أمَّا الآية الثَّانية: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾، (زكَّاها) فالفعل فيها متعدٍّ، بمعنى: قد فاز من زكَّى نفسه أو زكَّى غيره، قد فاز من تزكَّى بالأخلاق الحسنة ومن علَّم غيره الأخلاق الحسنة، قد فاز من تحلَّى بالصِّفات النَّبيلة أو أشاع بين النَّاس الصِّفات النَّبيلة. سواء كان موظفاً من الدرجة الأولى أو الثانية أو العاشرة.

والعكس: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾، إنَّ الذي يدسُّ نفسه في أخلاق ذميمة لا شك سيخسر. سواء كان موظفاً من الدرجة الأولى أو الثانية أو العاشرة.

وأقسم الله تعالى في سورة الشمس أحد عشر يميناً، فقال: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا*﴾ [الشَّمس:1-10].

أي: أقسم لكم يا عبادي أحد عشر يميناً أنَّ من تخلَّق بالأخلاق الحسنة سينجح ويفوز ويربح في أعماله أكثر، وأنَّ من خدع النَّاس وغدر بهم وسلبهم أموالهم وآذاهم في معاملاتهم وباع دينه بعرض من الدُّنيا قليل سيخيب.

مما اطلعت عليه من مراجع متخصصة بأخلاقيات الوظيفة العامة: أخلاق العمل وسلوك العاملين في الخدمة العامة للدكتور فؤاد العمر إصدار البنك الإسلامي للتنمية، وأخلاقيات الوظيفة العامة للدكتور محفوظ الصواف وآخرون، ومدونة قواعد السلوك، وأخلاقيات الوظيفة العامة، وأخلاقيات الأعمال في تقليل الفساد الإداري لأحمد البوتي، وأخلاقيات الإدارة في عالم متغير لنجم عبود إصدار المنظمة العربية للعلوم الإدارية، وأهمية الأخلاق في الخدمة العامة لبايلي، وتأثير الفساد الإداري على الأداء الإداري ودور أخلاق الموظف في التنمية لجبرا، ميثاق العمل في هيئة بيت الزكاة الكويتي، وأخلاقيات العمل الوظيفي، وأخلاقيات الموظف المسلم للدكتور أحمد الشميمري إصدار السلطة الوطنية الفلسطينية،

أخلاقيات الوظيفة العامة في الإسلام لانتصار شهباز إصدار مركز الدراسات التربوية في جامعة بغداد، ووثيقة مبادئ السلوك المهني وأخلاقيات الوظيفة العامة إصدار الهيئة الاتحادية للموارد البشرية في الإمارات.

ووجدت المشترك الأكبر بين هذه المراجع في أخلاقيات الموظف وآدابه أربعة أمور: الصدق والأمانة والاحترام والتعاون المسؤول.

– أما **الصدق في الوظيفة العامة**: فيشمل الصدق في إعطاء المواعيد للمدير والمراجعين، والصدق في إعداد التقارير والفواتير والكشوفات، والصدق في تقييم الموظفين وتعيينهم، والصدق في الوفاء بالتزاماته للدائرة الَّتي يعمل بها.

– وأما **الأمانة في الوظيفة العامة**: فتشمل الأمانة المالية، والأمانة العلمية، والأمانة في أداء العمل، والأمانة في الوثائق.

ومن ذلك أمانة الحفاظ على الموارد والتجهيزات، واستخدامها للأغراض المخصصة لأجلها، وأمانة استثمار وقت العمل، وأمانة الحفاظ على سرِّية البيانات والمعلومات المتعلِّقة بالعمل، وأمانة الإشراف على الموظفين الأدنى رتبة، والتعامل معهم بعدل وإنصاف، وتقييم أدائهم ومتابعة أعمالهم اليومية، وأمانة إعلام الإدارة بالأخطار والمشكلات التي تؤثر على مصلحة العمل.

– وأما **الاحترام**: فالمراد به احترام الموظف لرؤسائه، وزملائه، ومرؤوسيه، والمراجعين، واحترامه لمنصبه الوظيفي بالابتعاد عن السلوكيات التي تتناقض مع كرامة الوظيفة وشرفها.

ومن صور الاحترام واللباقة الابتعاد عن الألفاظ أو الإيحاءات أو التصرفات المحتوية على الفحش والبذاءة، والابتعاد عن صور التعامل الفظة أو الخشنة، ومراعاة أصول اللباقة والحشمة والمعايير الاجتماعية المقبولة في المظهر واللباس، ومراعاة أحكام الشَّرع وقواعد التعامل الأخلاقي والمحترم بين الجنسين.

– وأما **التعاون المسؤول**: فالمراد به التعاون في العمل الجماعي أو عمل الفريق في دائرته التي يعمل بها، وهذا يعني السمع والطاعة للمدير فيما يتوافق مع الشريعة والقانون، والنصح والمساعدة للزملاء، والالتزام بالنظام وقوانين العمل، وبذل الجهد في أداء المهام الموكلة للموظف.

أيها الإخوة:

كلما زاد أدب المرء علا وكلما حسن خلقه سما، فأحبه الله وأحبه الناس. وهذه بعض الإجابات على مسائلكم الفقهية المتعلقة بمهنة الوظيفة العامة وبعض آداب هذه المهنة النبيلة، سمح بهما الوقت.

فيا أيها الموظفون:

أقامكم الله على مصالح العباد والبلاد، وجعل بين أيديكم قضاء حوائج الإنسان وسلامة سيرة الأوطان، وقد روى الطبراني بإسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إن لله تعالى عباداً اختصهم لحوائج الناس يفزع الناس إليهم في حوائجهم أولئك الآمنون من عذاب الله»**. فطوبى لموظف جعله الله مفتاحا للخير مغلاقا للشر.

واذكروا أن المطلب الرئيس من كل من يستمع لهذه الخطب أن يُحَكِّم شرعَ الله في مهنته، لئن فعلتَ فأنت تتعبد الله تعالى في مكان عملك تماماً كما تتعبد الله تعالى في مسجدك، وإن لم تفعل فحاول أن تفعل، وابدأ الآن.

والحمد لله رب العالمين